خُدَّام المذابح

نصوص نثرية

منيب مختار

إلى شقيقتي زهراء، في عليائها ..

ظلال تتكوّن ببطء

ربما لو كان الأمر بيدي لصِرتُ ظِلا منذ البداية

لنافذةٍ تطلُّ على البحيرة

تغازل الغابة المهملة ورطوبة المكان

لامرأة تَرَدُ الماء

وتحمل القِدر إلى القرية

سأمشي بقربها وأصبح لولبي مثلها

مرهق ومتعب .. أترنح مثلها

ومخلص للأجنَّة في بيتها اليباب

سأكون ظِلا

للصبيَّة التي تبيع شرائح المانجو في سوق النساء

ضفائرها

مسحة الحزن الكئيبة

وأثر القدم الصغيرة في الزحام

سأكون ظِلا

للجندي الذي يقف على الرصيف

صافرته بندقيته

سعاله الموبوء والدخان

وابتسامته الجميلة إذ يلوَّح

لكهل يشكُّ في خطواته وفظاعة العبور

سأكون ظلا .. ربما

لو لم أكُن شخصًا فائضًا عن حاجة القبيلة

يهبونهٌ لمن يملك الرصاص

لَمَنْ يقرع الجرس ويعرف أبجدية النخاسة

سأكون ظلا .. للنعش

تحملني ظلال الناس إلى حتفي

تركلني ببطء وحذر

يتسع القبر

وتضيق نفوس الناس حين يدركون أن الظِلٌ

يعود معهم إلى البيت

ويأخذ العزاء في صاحبه

أنا ظِلٌ

للذين يعبرون الطريق دون أن يشعر بهم أحد

يطأطئون رؤوسهم

يمشون على الأمشاط

هم تدرَّبوا ــ لفترة طويلة ــ على الخيبات

وفضَّلوا الاكتفاء

لأنَّ كل شخص احتمالٌ لجُرح جديد

سأكون ظِلا

أحاكي جلوس الورد الكاذب في فوضى المزهرية

أبدو حقيقيًا أكثر

ورشيقٌ في تكوُّني على الحائط غير المستوي

تلاطفني أياد الضيوف

تربت على كتفي وتعبث بالرمل الأحمر في جوفي

لاحقًا ..

عرفت أنها ضريبة أن تكون مخبأ للمفاتيح

كونك ظِلٌ

لا يعني أن تأخذ شكل صاحبك أو الأشياء فحسب

وإنما ..

آلامه واحلامه والرهق الذي يعتريه

إنه امر شاق

بيتك قبرك

في ليلةٌ وفاتهُ

نهض ببطء كما لو أنَّه شجرةٍ طاعنة في السِّن

ربَّت على كتف أبيه وحمل معنا النعش

كان أنيقًا جدًا

صغير جدًا

يُحلِّق فوقنا ويمسحُ عرق الناس بكفَّيه

هنا الليلٌ مجرد فخ

ففي القرية لا يملكون رفاهية الضوء

رفاهية أنَّ ترى الأشياء اشياءٌ

لأنَّ ثمن الشمعة هي ثمن الخبز

حين سألوا حامل المجرفة عن مقبرةٍ قريبة

قال: بيتك قبرك

الطريق الذي يؤدى إلى المدرسة قبرك

سريرك الذي تنام عليه أو تحتهُ قبرك

فم امرأةٍ تُجهِّز قُبلةٍ لابنها، قبرك

التراب الذي بلَّلتهُ النساء لصُنع أواني الفخار

أو لتطيِّيب الجروح قبرك

فاسترح حيث شئت

يقول جدي؛ نبي اللحظات الصعبة

من صلواتنا

ومن سلطة الغيب نستمدُّ آمالنا

من الألم تتخلَّق فكرةِ التئام الجروح النبِّئة

وفرص الرتق العظيم

أنوربا

البحر

إنَّه مثل أن تقف عاريًا وتقول للطوفان

_ هذا أنا

جئتُ إليك من تلك القيامة بلا رئةٍ

بلا شفاه

وبلا وثيقة

جئتك فاغرًا فمي ومدرَّبًا على الغرق

في "أنوربا"

كُنا نتمرَّن على السفر ومراوغة الصخور الملساء

نموت موتا حقيقيا

نبكي بكاءٌ حقيقيا

نحمل النعوش الخشبية نحو القرية

ونُعلن أحدنا شهيدًا

_ كُنا نحاول نَحَتَ اسمائنا على جدار الغياب

للبحر حِيلتهُ في الاغواء

كأن يتسرَّب عبر _ ثُقب زُمَامَ _

في أنف امرأةٍ تتأهب للرقص

كأن يتَّسع البحر لأكثر من موسى

وبعض الناس من شتَّى الأمصار الملعونة

حلم

كلما وضعتُ رأسي على الوسادة

أجِدُني في مهمةٍ كبرى

ك أنّ أُرَاوغُ الليل

وألفي مشهد الوثب الحر لامرأةٍ ترقص في حقل النعناع

امرأةٍ تنتحلُ صفات الريح العابر عكس مَظانّ الفلاح

وتُغنِّي؛

كلما وضعتُ رأسي على الوسادة

أُغادر للوراء ــ

نحو النهوض

حِيلة رائعة للظفر بعشاء لائق

في أصيص الزهور

القليل من الصفق اليابس والمفاتيح القديمة

والكثير من الصدأ

إنه الغياب يا "ياليو"

في الصباح

لم يستيقظ المذياع

كرسي الحديقة كان فارغًا

بائع الجرائد تجاوز بابنا الخشبي

وزمزميتي لم تعد تسعُ للخريف الآتي وموسيقى المطر

هكذا يا "ياليو" أيقنتُ رحيل أبي

يمكنك في حيّنا

أن تشتري خبزًا مستعملًا

أن تساهم في طرق الأبواب كلما مر بائع الحليب

وأن تصرخ نيابة عن الزبائن

إنها حِيلة رائعة للظفر بعشاء لائق

الليلُ

إنه مثل نهار ينجو بجلده من لسعات الشمس الحارقة

يتخلَّص الحائط من ظلِّه

الناس من فظاعة الضوء وجبروتهُ

هو وقت تستغلَّه المصانع لتفريغ الكربون والالتفاف على عنق البيئة

وأنفقهُ أنا المذهول

في استدعائكِ يا "لياليو"

عناق

التبخر

رغبةِ المياه في السفر والعناق الطويل

وعظمةِ المجيء

وربما—

انتحال صفات المطر

ذاكرة الفضيحة

في البداية

كان طفلٌ ما يلعب بالطمي وسط الغابة

حمل قطعةٍ كبيرة من الصلصال

فصارت على يديه الغضَّتين منزلٌ ضخم

جرو صغير

شجرتيّ رمان

من النثور تفتَّقت بعض الينابيع

والكثير من الأيادي التي تلوّح من بعيد

ـــ أدرك حين كبُر أنه صنع ذاكرةٍ للوداع

في البداية

كانت "أثينا" كلها

توقد الشموع في أعياد الميلاد

يذبحون الليالي البيضاء فتبدو ككُتل السحاب

الدم الدخاني المراق

الآن .. خلف النعوش

يوقدون الشموع ويؤسسون ذاكرةٍ للموت

في البداية

لم يجرؤ السلاطين على ذبح النساء

شرائهن

بيعهن

ولم تجرؤ ساحة الحرية

أن تقوّض إرثها وتصبح سوق للنخاسة

ــ لو أن الآباء لم يبتدعوا الشعور بالعار

ويصنعوا ذاكرةٍ للفضيحة

في البداية

كانت الذاكرة فكان كل شيء

أين المكان؟!

قالوا: انتقي موتك

برصاصةٍ برصاصتين

بمعولٍ ملَّ لزوجةِ الأرض الجهيضة

فصَار على يدِ الفلاح بيدق

بذبحك

أو برميك للذئاب

قلت: أدفنوني في حقول القمح

ربما أنبت في فم امرأةٍ تكافح جوعها

وتبيع ليلها لله

خذوا وجهي إلى المتحف الوطني

لتبقى وثيقةٍ احتجاج صارمة

ومرافعةٍ ضِدَّ الجنجنود المترفين المنهكين

وزَّعوا الدم المسفوح للأشجار في غابات السنط

خذوا رأسي لطفلةٍ في حيّنا

تُخطِّط لامتلاك جمجمةٍ لدميتها

واتركوا قدمي؛

اتركوا قدمي في الشارع المنحوت

وأسفلت الطريق

أو على أعتاب منزلنا المُهشَّم

ربما يحتاجه الناجون من هذه الخيارات البذيئة

ودعوا القميص

دعوا القميص وقدِّموا لأبي خاتم الفضَّة

وخذوا حذائي للطريق

قالوا: مُت

ودَع لنا أمر انتشارك في المكان

قلتُ: أين المكان!؟

احتراق

تلك المخالب البذيئة

لم تكف عن النَهشْ ليلةٍ واحدة

جسد ميري هناك منذ مائة عام

يرقد في نهر السوباط

جماجم الأجداد هنا

جماجمنا هنا

والغراب الذي أكل أول جيفةٍ

يقف مزهوَّاً

يعتزُّ بأحفاده

ويرفع قُبَّعتهُ الضخمة

تلك العيون التي تحلِّق في السماء

ترى الغابات تحترق

والبنات الجميلات اللائي ينتشلن الماء

يتنازعن حول البئر

ويتقاسمن الخوف الهائل من نضوبه

بلا سبب .. يحترقن

الشلالات وأشجار المانجو فوق سلاسل الجبال

موغلة في الدخان

يستوعبها فائض اللهب الذي يخرج من الخنادق

تلك المخالب السائبة

لا تكف عن تمزيق ثوب امرأة تدلَّى من كتف الحائط المنسي

_ الثوب ذاكرةٌ _

كل ضيف مرَّ من هنا

كل حديث خاضته النساء عند عتبةِ الباب

كل الشوارع في الحي

وكل وداعٍ يليق بالأبناء والجارات اللائي غادرنها إلى شسوع البلاد

تقول أمي: الثوب المنزلي فردٌ من العائلة

تلك المخالب السامة

لم تكف عن النَهشْ ليلةٍ واحدة

بذَرت شياطينها وطوَّرت جيناتها

وتركتهم مثل الفطريات التي تنمو في مزارع السمسم وحقول القطن

تلتهم الفلاحين البسطاء

والناس .. الناس من كل حدب وصوب

وكأن الأرض تلفظ آثامها من لدنَّ آدم العظيم

وحتى آخر جندي ادَّعى باسمنا والآلهة

بأنَّه محض نبي

تلك المخالب المشؤومة

يتضاعف حجمها كلما ساورتها المذابح

يشتعل جوفها فتبتلعُ المدينة

تلطَّخُ اجسادنا بالخطيئة

والطرق بالخطى المهدرة

النعش

قالوا: اقْتَفي هذا الأثر

إنَّ الذين حملوا النعش مضوا .. شرقًا

تركوا لك معطفًا

ووزنًا فائضًا عن حاجة الموتى

تركوا الفراغَ وبقعةً على ظهر الخريطةِ قد تقود إلى القيامة

وغادروا

قلت: كيف ؟!

قالوا: هكذا

وطفقوا يمشون

- لم يتركوا خلفهم سوى نقعِ أرجلهم على الرمل-

ادَّعي الأشياء وامضي

لطالما ظنَّنا أنَّ النباتات التي تنمو في "الصريف"

الخضروات الطازجة ومحارق الفخار

أحواض زهور الوينكا

شجرة الجهنمية

بأنها اشياء سوف نجدها عندما نشتري منازلنا

ــ إلى أن فقدنا أمهاتنا

تقول جدتي: أنَّ الآباء لا يموتون

هم فقط بحاجة إلى قيلولةٍ دائمة

من رِهق النهارات الطويلة

من فظاعة الجلوس وآلام المفاصل

لكنهم يراقبوننا ونحن نكبر

ونحن نخوض حروبنا الصغيرة

ونحن ننجو

ــ ادَّعي النجاة على أية حال

في جيب معطفي الكثير من المخالب

التي جمعتها اثناء المصافحة

أوزِّعها على القطط في حيّنا

على النساء الرقيقات في الحرم الجامعي

وعلى البنات اللواتي لا يمتلكن أظافر مزيفة في حقائبهن اليدوية

أنظر إلى ظهرك

لَمَنْ تلك الحوافر والتقرحات النيئة

لَمَنْ هذا الثُقل

أبكِ حين يخلد الجميع إلى النوم

ضع قليلًا من الملح الذي اختلسته من صفرة الطعام

ــ ادِّعي أنك بخير على أية حال

خُدَّام المذابح

وهم يصفِّقون للسيف

كانت أعناقهم تتمايل للرقص

والجماجم في كل الأزقة

مشاريع قدَّاحات ومشاهد مؤجلة للمتحف الوطني

ها أنت _

تنظر إليها طازجة وتوفر ثمن التذكرة

ها أنت _

تشتري بثمن تلك التذكرة

مدن خالية وبلادٍ تحت المطرقةِ المشؤومة

صَفِّق

صَفِّق كيف تشاء

أو كيف يشاء جناح الظُلمة في الأرجاء

وهم يشيِّدون المشانق

وهم يقسِّمون المكان والاتجاهات على أساس الكارثة

وأحقية بعضنا في الحياة

كانت القصيدة تنضج في فم شاعرٌ قتله البرد

ونهشت جسده صلابة الأرصفة

بلاهة الأشرعة

وربما الطوفان

وهم ينتحلون أدوار الآلهة

بايعوا رسولٌ نبت من فم بندقيةٍ ما

من رحم معمل ما

أو من حفرة ذهب

وانتبهوا إليك من ثقب في الجدار فقاتلوك

صَفِّق طالما أنك لا ترى

ووزَّع لغيرك موتًا تراه مشاعًا

ووزِّع لغيرك أقبح العذابات وبعض الألم

فالقبر قد يسعُ الجميع كما أخبروك

جرِّب أن تكون طائر ولو لمرَّة

كأيّ طائرٍ يتمرَّن على صناعة عُشَّه

أعرف العشب

طعم الطمي الذي يتخلَّق وتشققات الجذوع

خطوطه متناهية الدقة

وسهولة أن تبني بيتك _ بفمك

أعرف مخاوف أشجار اللبخ وأغصان الجهنَّمية

من تحوَّلات الفصول

حين تنمو

وأدرك أين تنام الفراشات في سهو الشتاء

كأيّ طائرٍ

تبدو لي فكرة المشي مثيرة ومربكة

أنَّ أخرج مساءً وأتسكَّعُ حتى المغيب

أنَّ أرتدي الفساتين القصيرة

والتنانير التي صنعتُها من ريش طاؤوس ضلَّ طريقه إلى حتفه

وأمشي ك الفتيات اليانعات

كأيّ طائرٍ

أبدو بمزاجٍ جيد

ولون أخَّاذ

وربما صوت، لا أدري لماذا يفسَّر غناءً على الدوام

لكن

جرِّب أن تكون طائر ولو لمرَّة

جرَّب فكرة كونك في مأزق

مع رجلٌ ثمل يحمل بندقية صيد

إنه أمرًا فظيع ومرهق

كأيّ طائرٍ

قد تنهشهُ فجأة مخالب الأشياء

أجلس القرفصاء وأوزِّع اللعنات التي ادَّخرها على الملأ

بائعة الكعك

وأنت تشتري الكعك من طفلةٍ

تحمل على رأسها النهارات

ولسعات إناء الحديد القديم

قدِّر ابتسامتها؛ فمها الأبيض الذي يكسوه الجفاف

والعرق النِيء

تخيَّل

جلوس الأم في مأزق النار ولهيب المحارق

توسلاتها لتستدين الدقيق من دكان حارتها

والألم الذي ينبت في قلبها

وهي تقتصُّ منه لشاي الصباح

تخيَّل

اسئلة الطريق عن تلك الخُطى الصغيرة

عن نشوء الهزيمة في بيتهن

لو لم تعود وتلوّح بفراغ الإناء

تخيَّل فقط

ما قد يحدث لو لم تُحيل الكعك

إلى ما يمكن أن يصبح ثمن الخبز

ثمن الماء العادي وطبقٍ منزوع الأطراف

وأنت تشتري الكعك من طفلةٍ

تحتمي بفائض خمارها من عيون الزبائن

من ظنون الشوارع في ظنِّها

أو رصاصٌ تبعثر ليلة اشتعال المدينة

فكِّر بها

فكِّر بغيرك

في مهب الريح

كلُّنا رأينا تلك الصورة

صورةِ امرأةٍ طاعنة في جذر المكان

كانت تركض

تعدو كما لو أنَّ ضيق الإطار يُدمي قلبها

وتبحث بقلق عن الجدار الذي تهشَّم

لتَصَبُّحٌ بلا مَأْوَى

لنصَبُّحٌ جميعًا ــ إثر لعنتها ــ في مهبَّ الريح

يمكنك من هنا

من حفرةٍ سحيقة

أنَّ ترى المدينةٌ تستغيث

والناس في أبهى تجليات الزيف

يضحكون

يتلاومون على ترك الصبيَّة وحدها

ينصبون المشانق ويُنشِئون محاكم التفتيش

تستطيع من هنا

أنَّ تنعى لوحدك ما تبقَّى منك

ما نذرتهٌ لليلٌ من فتاويك القديمة

ما ادَّخرتهٌ للعائدين من حكاياتٍ واسئلةٍ تؤسس للقيامة والمثول الأوليّ

يمكنك من هنا

أنَّ تدَّعي ما شئت

نبيًا

شيطانٌ

أو حتى جنديًا

فالظروف مواتية للصعود أو الهبوط المستفيض

يقول الجد الأول؛

كن ما تريد طالما أنك مسؤول عن ما يترتب عليه

نضال الأشياء البسيطة

تخيَّل

أنَّ القِنان الفارغة

ليست سوى مآزق الورود

ومشانق النخيل

ودمها المُراق

تخيَّل

أنَّ تلتقي بيتك وجهًا لوجه

في طريقٍ آمن أو مبكى أو حتى في الحافلة

أين تَدُسُّ وجهك

ماذا تقول؟

تخيَّل

أن تكون قطَّة؛ مثلًا

وجدت نفسها هنا

وحيدة وعارية

بلا فستان أنيق أو بِزَّةٍ لبن

تقفز بين بوت يطأُ زيلها وطوبةٍ تملَّصت من ظهر الحائط

بالنسبة لك فهو مجرد قِط

أما هو، أدرى بمشقَّةِ كونه مدني

تخيَّل

أن كل هؤلاء

كل هذه النعوش والمآتم وما نهشتهُ الغربان

بسبب رصاص طائش وعفوي ومسالم

رصاص عابر كما يقولون

ترى، ماذا لو كُنا ...

تخيَّل يا عزيزي

أننا مجبولون على تعويض هذه البلاد

بغيرنا وخيرنا

بموتنا

بهروبنا وصبرنا

فعليك أن تضمِّد جراحك وتتحسَّس نشيدك

تخيَّل وأمضي فقط

الميت وحامل النعش وأهل القتيل

أنت تراقبهم

وهم ينحتون لك ظِلًّا جديدًا

ويعيدون إسقاطه على الاتجاهات

وهم يَبترُونك

كأيّ قصيدةٍ

تزدري الجلاد وتمجَّد ظهورنا العارية

أنت تراقبهم

بعينك اليسرى التي فقعوها بتهمة الرؤيا

وخيَّروك بين البندقية والبندقية

بين التصفيق لشِعر الخليفة

والرقص على أنغام الحاجب

أنت _ بكامل وعيك واختلالك ربما

تراقبهم

تستشعر خوفهم من جثَّتك

من عجزك

من صوتك

وتحسُّ بأكفّهم الملطخة تتصافح في جيوب المآزر

حيث يتبادلون ارتداء الخواتم

واعتلاء البلاد

أنت يا عزيزي

الميت وحامل النعش وأهل القتيل

القيامة

هم هنا لا يملكون اللغة التي تستوعب كل هذا الحزن

أو تصفهُ

لذلك؛ يجترحون لغتهم

يحاولون التلويح بأيادٍ مبتورة

والمشي بأقدام منزوعةِ الأظافر

يقولون: هي حِيلة من صادروا حقَّهم في الوداع

من بين اشجار البامبو يُطلُّ وجه جيرترود

تشذِّب الحشائش

تشعر الحديقة بذلك الألم الذي ينخر قلبها

اثناء تسوية العشب

ــ أيّ امرأةٍ تقبلُ بقصِّ ضفائرها السائبة ــ

يتناثر الرصاص على وجه جيرترود ويشعر العالم بالقلق

القلق فحسب

نحن غرقى؛ فاليكُن

في شبر ماءٍ راكد

في نهرٍ من الطحلب اليانع واخضرار السطح

في المشهد المنسيّ من عِبَر السماء

قالوا: إنَّه البحر

قلنا: فرعون لا يفقهُ الأشياء إلا بالغرق

الليل هنا؛ مجتزأ من المجهول

يبدو ساخطٌ وأكثر من كونه ليل

ومن كف طفلةٍ راهنوا باسمها يبدأ التشقُّق بالنمو

من قَسَمَات وجهها الناعم ونقوش الحناء

تزداد اسطورة الانهيار العظيم

يقولون: إنها القيامة

نمو

ليلًا

تنمو الفراشات الكاذبة

النخيل الكاذب

الأنبياء الكذبة

وأنا أُحرِضنيّ لأعرف كيف تمتثلُ الفراشةِ

في يد الطفلة الصغيرة

في مِعصم إمرأةٍ تُنازِع زوجها ثمن العشاء

انتباه الطريق

حِين اقترح الوَرد

أنْ يَجترِح الندى من اشجار الهَشَاب

كان الهَشَاب يهيئ الصمغ للفأس الذي دنستهُ النوايا

ويبكي وحيدًا

عُسَر الولادة

في السادسة صباحًا

تُشعِل امرأةٍ مقود الطين وتحُاكي الأرصفة

في جلوسِها المهمل

تملأ قدح الشاي لزبون محتمل

و تشتري الخبز على إثر ذلك الاحتمال

في السادسة صباحًا

تأتي المدرسة كلها إلى بيتنا

يقولون:

نُريد مكنسة

نريد ماء

نريد كرة الطائرة التي سقطت على سطح الغرفة

يقول المدير لأمي:

تسوّقي لنا.

وحين اذهب إلى المدرسة يطالبون أمي نقودًا وطبخ

في السادسة صباحًا

تسترد العصافير لغتها

تقف على قدمٍ واحدة وتنشد بُكائيتِها

تسترد البنات من المرآة أناقة الأيام القديمة

يسترد طفلًا من تحت وسادتهِ عُلبةِ "الورنيش"

يُشَكَشِكْ"

ليُلفِتُ انتباه الطريق إلى قذارة الأحذية

رؤيا

أراها

ك شيءٍ من الثلج الذي يستبيحُ الأرض
حين تُمطِر

أراها

لِمامًا، حين تعرِجُ في المساء إليّ من حُلم قديم
وتُحرِض الأشياء فيّ

أراها

وأُفرِط في الرؤى

لا تراهن

لا تُراهن؛

على خيول البلاط

أوسِمتُها

رُتبِها

والسائِس المخصيّ حين يُقلِد المَلك السجين

لا تُراهن؛

على البندقية ولا على اللا بندقية المضادة

إن الخليط المرّ من صُنع طاولةٍ تُدار على دماءٍ لم تجِفْ

قالوا:

ــ رجال الغابة

قلنا:

ــ يا ويح الشجر

قالوا:

ــ بقايا سلطانٍ قديم

قلنا:

هم نفسهم، ذات المشيمة والولد

لا تُراهن؛

على قمح الفِرنجة

وأُنبِت من خصوبة الأرض اللعينة خبزًا

من النيل ذاكرةٍ تُحرض الموتى القدامى

وتحول مجرى هذا الاحتمال

لا تُراهن؛

أو تُقامِر برِقاب أجيالٍ ستأتي

أو تبيع أزمنة لا تخصّك

إن شئت مُتْ

وأترك لغيرك ما تبقى من صراخ

أترك لغيرك مهرجان للطفولة والنحاس

لا تُراهن؛

للبيوت رائحة الذين غادروا

في المساء

يعجُ المكان الفسيح

وتضيقُ بنا شسوع الشواطئ

تقول امرأةٍ تُقلِم أظافر ابنتها الصغيرة

_ لا تخافي

لأن الأظافر ومذُّ الخليقة

رمز الهَشاشَةِ

وبيت كبير الأبالِسة

في ظُلمةِ الليل

تبدأ أمي صلاتها

وتبكي اسباب النهار الطويل

وموت الأجنةِ في طور التَخلّق

في ظُلمةِ الليل

يُعطِي البنفسج بُعدًا جديدًا لتلك الحروب التي انشأتها الخصوبة

في ظُلمةِ الليل

يقترح النبيذ لنا جميعًا

أن نُنَادم من نُحب

ونَستعِيرُ من البداوة مهرجان الشِعر واللبن "المُقنَن"

والدُعَابة

تقول:

للبيوت رائحةِ الذين تنصّلوا من جوفِها

بقايا ملابسهم المُرتبة

قَهقَهاتِهم

وشيئًا من النبوءةِ

مارثون

مَنْ يُعِيبْ على الأرض شهوتها

في ابتلاع الذين اطمئنَّوا لصوتِ المؤذن

مَن يا ترى ــ وبكامل البذاءةِ ــ

سيُعلِن قبل انتهاءِ السِباقْ

أن الوسام الجميل لِحِصَان الخليفة

وأن البلاطْ

سيَهِبُ انتصارٍ مزيف وسيفًا

يهذِّب فوضى الرِقاب

للمفارقة ــ

تستعيرُ الغابة حِيَلْ المدينة التي مَزَّقتها

وشكل القناع القديم

تستعيدُ الحبيبة في لا وعيها

شبح المسافر

لعنةِ المدى الممتدَّ

وتُرتِق ــ على مهلها ــ

ثوبًا يُنَاهِضُ هذا الجلوس الكثيف

هي إذن؛

نية الخنجر في خيانة الغمد

يوميات الحي القديم

فارغًا

أرمّمْ ما هشمتهُ الحبيبة

ما بعثرته الحقيبة

وأغدو عصفورًا يقترحُ شبابيك الجيران ليعرف ما معنى أن تفقد جِنحيكْ

ما معنى أن تُصبح بطّة

فارغًا

أتحسّسُ وترًا لا يُضمر لحنًا

أستنشق في الورد رائحة المنفى

وأعود

أعود ليستشري في جسدي وهم العودة

وأفيق على أصوات نساء الحي

"نفيسة، تُقسِم بآلهة الإغريق

أن الشيخ سراج الدين نبي"

"أميرة تبارك مولود السِّر وتزغرد"

"سلافة، تُعلن عن فتح بلاغ لأحدهم"

"حليمة تُحِيل بلح التموين إلى خمر"

وأنا أبحث في فوضى الأصوات

عن تلك البنت المجنونة

أتربص بالنبرة تلو النبرة لكن لم تصدح عصفورة

عن خمر "حليمة" في طيف المرأة المجهولة

فارغًا

أصيح لحظةِ انتشاء أو ألوك خيبةٍ تَمُدُّ كأسها لأخرى

شامخًا تفيض أدمعي وتملأ الفناء

لأكون حيثما أكون

في القيامة

في رحلةٍ طويلة أو طليقًا كأنني الخواء

في بلادنا التي تهُشَّ عن موائد الصغار ما تهُشَّ

فارغًا

أخاف لا أخاف من سواي

تفاصيل

كَذِبُوا

لا المكائد

ولا ظنون القمح في أرض الفرنجة

لا الشياطين الصغيرة

لا شيء أبدًا

لا شيء يكمن في التفاصيل

الليل

الليلٌ بريء

بريء منك

منَّا

ومن دقَّات الساعة في أذنك

من تفْقِيع الورق الأصفر حين تُسرَّب نافذة الغرفة

هواء ناعم

من آهاتٍ ادَّخَرَوها وصرير أسِرَّة ووقت ممدُور

الليلٌ بريء

سِرّي للغاية ــ رقم (٤٦)

(1)

يقول جندي متقاعد؛

للجنود أجنحةٍ متداخلةٌ الألوان

واصواتٍ جريئة

ومقتنياتٍ ثمينة سقطت سهوًا وإلى الأبد

قالوا: خُذ كتابك هكذا، ولا تفتحهُ

قلنا: أيّ دين يا ترى؟

لكنهم ــ لم يَحفَلوا ــ وزعَّوا البنادق، البيارق والجهات الأربع

وزَّعوا خيام رديئة

المرتب الحربي والمَجرُوس

صاح: لا تفتحهُ

(2)

يقول طفلٌ بدين؛

بائع الحلوى في حيَّنا

مَنزُوع الأطراف

يتوكأُ على شبحِ قدميه ويستشعرُهما

يجلس على كرسيٍّ مدولب ويراقب الزبائن

قالوا: غدًا ستنصُره المصانع وتُعيد تدوير الخطيئةِ في الحذاء

(3)

تقول امرأةٍ مسنَّة هبطت وكأنها أمرًا إلهيّ

تبدَّد من قبضةِ الملكوت؛

أنا أمهم في السِّر

مسؤولة عن ترويض النخيل

ورَتقِ ما تفتَّق اثناء الولادة والمجيء

أنا أمهم جميعًا

الخمر ليّ

النيل ليّ

البنات المومسات في الليلٌ الخُواء

قالوا: وكذا مقبرةٍ للآتون من الفجر

الرمال الناعمة

الزمان: السادس عشر من يوليو 1973

المكان: حِزَامْ أوَزُو

والنُسور اللَعينة تُحلِّق عاليًا

تبدو أكثر رغبةٍ في عِنَاقْ الرِمَال النَاعِمة

يَنِزُّ مِنْها مَسحوق حَارِق

مَلكَ الموت هناك؛ في جلسةِ مِساج

مَلكَ الموت في المقهى يتَصفحٌ جرِيدة نِيُوسِتيتْسمَان

جَنجنُود كُثر

يَمرُّون على صَهوةِ جيادٍ سريعة

سياراتٍ ك البَرقْ؛ تُومِضٌ في جسدِ الأرض

الأرض التي تقدِّم القرابين والتِبرَ الأسود والنحاس

من أجل "مارغريت تاتشر" روح الشيطان الأب

والصَحراءٌ؛

الصَحراءٌ مَقْبرةٍ تَسعٌ الفوضى والأحلام العابرةِ

ك البَحرٌ تمامًا

و كَ أيّ امرأةٍ مُترفَة

لم تجرّب "جورجيا ميلوني" أن تسبحٌ من الشاطئ الغربي إلى جزيرة مايوركا

لَمْ تجرَّب السجن وشدَّ الوِثَاقْ

ولَمْ تُقاتل رجلٌ بدين مدرَّب على رَكل المُؤخِراتَ

لأنهٌ وخَلفْ الاسَلاكَ الشَائِكةِ يا "لوبان"

تَبدِين أكثر قذارة

وأنتِ تُهشَّمي رأسكِ بمجرفةٍ لعِينة

نعي الرفاق

كُنا نغني

ونَنَّعى الرفاق

كُنا نمُرُّ مرورًا خفيف على سيرةِ الأشقياء القدامى

العناق الصباحي

وخشونةِ الأيادي المُتعبة

كُنا نضجُّ

فتهرعُ صوب السماء لغاتٍ كثيرة

وتمتلئ الأرض بالمُخَبرينْ الرُعاة

واصحاب السُّمو

كُنا نزول ببطء ك شمس تواجهُ شبح الهبوط

وذاك الأُفُولُ الرحيم

كانوا يودِّعوا في السِّر مصانعُنا ونودَّع علنًا بعض العمال

ونعود مرارًا

لِنَعيّ الرفاق

لا تنزعج؛

ألقي بصوتك للحياة

ألقي بصوتك إن شئت ريثما ينضج نشيد الموت فيك

ثم عُد ليلًا

لِتَمْتَثل أمام الله

بهيئتك الجديدةِ أو دمك المُراق

سيسليا

(1)

فهي؛

يعرف أكثر ــ وجود "سيسليا" في المدينة

يلُوك طعمها القديم

يرتجف

فأعلم أنها بالجوار

(2)

ليلًا؛

يوسوس عصى الخيزران في أذن النافذة

يُقْرِئهَا سلام الغابة

وبعض حِيلْ الأشجار القديمة

للافتكاكِ من قبضة الصليب

(3)

الموت

يُدعى في معجم المُعزّين ــ رحيلٌ

لكنهٌ قد يعني العودة

أول خطوةٍ حقيقية في طريق المجيء

وآخر استدارةٍ كاملة

(4)

الجبال؛

نتوءاتٍ أبدية في وجه الأرض

بثور شيخوختها ورمز الرفض والاحتجاج الأول

لأمانة السماء واقتراحات الآلهة

(5)

استمرار الحروب الحاسمة

تفضح الكثير من المحاربين

تتغير الأوراق، البنادق، البيارق واسرار الليل

سيأتي رجلٌ كان يُقاسمك الخندق

وصك عبوديتهٌ

وقطعة خبز جافة

في ثوب المالك وإله القصر المخصي

فلا المالك يأبهُ لريش الطاؤوس على رأسه

ولا حتى خندقنا يحفلُ بالخونة

مذكرات ساعي البريد

(ص ــ 1)

في صندوق الرسائل

الكثير من الأفواه الرطِبة

الليالي الحمراء

دخان ما، دخان سجائر ربما

والقليل من القُبَلْ النَيِّئَة

(ص ــ 2)

في صندوق الرسائل جثةٍ محترقة

دعاوي مضمخةٍ بخِتمْ المشرحة

بعض الوصايا

وخاتم فضةٍ منزوع الحواف

يرن في أذن الطاغية

(ص ــ 3)

في صندوق الرسائل

رسالةٍ شفهيَّة

لامرأةٍ ما، في غابات جزيرة "كيس مايو"

تحشو شرائح البطاطا داخل فطائر التنور الأسمر

وتَعِدُّ الأطفال للمدرسة

(ص ــ 4)

في الصندوق قبضةٍ ناعمة

تمتدُّ كلما مضت انامليِ تغازل الحقيبة

هي في حقيقة الأمر تخص رجلٌ تناثر اثناء عودته

وتبدَّد

(ص ــ 5)

في صندوق الرسائل؛

رسائل فارغة

تجاوز اصحابها الكثير من الأوراق المُمَزَّقة حتى وصلوا إلى هذه النسخة

صدى

يبكي

فتقول الجبال:

لِمَنْ هذا الصوت الهائل

والصراخُ الجماعي الذي سيعود لا محالة

صدىً مشوَّه

اصوات متداخلة

(1)

في المساء؛

أسمع الزغاريد

رنين الخلاخيل القديمة وصوت الضحك الأموميّ الرقيق

أسمع ــ بيني وبين السماء ــ نداءً صريح

لطفلٌ تكوّن لحظة سؤال النساء عن نبيّ جديد

(2)

كان صوتها القديم

الجميل

المُراق

بذاك الخفوت الذي تُكذِّبه ويأتي بعيدًا كأنَّه الخواء

قلنا من أين يأتي؟

قالوا:

مقبرةٍ جماعية لنساء القبيلة

(3)

كانت جدتي الجميلة تعرف

أنّي طفلٌ من طين الفضول اللَّزج

وأنّ لساني الطويل عقابٌ معجَّل لكأس النميمة المُدار

لحظة طقوس الشراب المعتَّق

وتعرف أن القميص الجديد من ضمن رشاوي السُكات

طائر رِهو

في كل يوم

تستيقظ الغابة

تتفقد الأشجار وقاع النبع والصفق الذي نهبهُ الريح

تَتحسَّس الصدأ في سيقان السُنط

العرق المالح والتقرُّحَاتِ النيّئةِ

تصيح ملء رِهقُها:

إنه مهرجان أكثر تفاهة ومشروع إحالةٍ مقصودة

في كل يوم

يستعيد الطريق خشونة الخطى القديمة

الصدام العفوي والركض المشوَّه

يستدعي في ذاكرته

أرق المارَّة وهمهماتهم الخفيضة

وينزوي ــ

ك طائر رِهَو

على غصن غرَّتهُ فكرةِ أنَّ يعبر الجدار

فصار ــفي لا وعيهــ مجرد جزءٌ جاف

في كل يوم

يأتي بائع الحليب

وفي كل كوب يبدو مذاق العشب طازجًا

يأتي بائع الملابس المستعملة

وفي كل قميص جثةٍ رجلٌ ما والكثير من المناديل

تأتي أمي

وفي فمها ابتسامة عريضة كَلَّفَتْها مئات المحاولات الفاشلة

لأن تقوَّض فظاعةِ الظُلمة

مأزق الغرق

تقول الرياح للطوفان

نوح سيعبر طفلهٌ نحو الخلاص ويختزلُ الأبوَّة في الحجارة والجبل

نوح سيختبرٌ السفينة والمدينة والغرق

وهنا _

على الموج أن يستبد

وعلى الرياح أن تؤسس لجيلٍ جديد

يخاف سؤال المياه الذي قد يُثار لحظة سقوط المطر

حامل المجرفة

الكثير من الوجوه الشاحبة

التوابيت

وربطات العنق السوداء

_ فيما بعد قالوا عنها: أناقة المقبرة وطقوس الحضور الجنائزي

الجثث الضخمة

الألم

ونواحٌ وحزنٌ طويل يمو ك نبات متسلّق

يُعلّق متعهد دفن الموتى فيما يشبه الشماتة؛

ــ إنه عزاءٌ ثري

يهمس حامل المِجرفة

أنا لا أشعر بشيء

إنه مجرد عمل شاق ومن غير حوافز

وحدها أحلام الموتى

ذكرياتهم

رغبتهم العارمة في الحياة

الأمهات الجميلات

قصاصات الأوراق في درج المكتب أو جيب الأبرول

الأطفال ــ

هم العزاء الأكثر نبلًا وحب

عُد حيث شئت

[1]

من لزوجة الطين

ومن عظامنا التي في قبضة الأرض
ينمو الأبناء
يستيقظون مثل السنابل
لحظة تفيق البذور على دلالِ التراب
لحظة يُظَنْ
بأن الغيوم التي أرضَعتَها
ستشعر بزهوٍ
وبعض الشهامةِ في مجلس الآلهة

[2]

عُد حيث شئت
لأنَّ المدينة مُتخمة بالأشقياء
يبيعون الموت ويهبونهُ للذين لا يملكون النقود
يقيمون القيامة
ويسهرون الليالي الطوال على دقِّ أعناقنا
وفوق اشلائنا يمرُّ الجنود

[3]

هل ترى؟!
هل تراهم يُقايضون المكان
ويصرخون: إما نحن أو لا أحد

هل تراهم يُشهرِون بلادةِ الفسَّاق
ثم يُضرِمون الليلٌ
ويقوّضون الفجر والضوء الشحيح
هل ترى يا أيها الموبوء بالخيارات البذيئة
أنَّهم يثقبون الغد
ويهشِّمون أساور الأخشاب
في معصم الطفلة التي تستوثب الأشياء
وتثير في الحي الحياة

مرة أخرى

مرة أخرى
ستنضجُ حقول القمح
والسنابل في لا وعيها تكبُر من أجل الذبح
مرة أخرى
تعانق موسيقى الحصاد سماء التلال القريبة

رقص

رقص حميميّ وصراخ

مرة أخرى

ستنتحلُ المناجِل دور الآلهة في تحيّيد الأعناق

عن جسدٍ

وقَشَّةٍ أخرى ستذبلُ

مرة أخرى

يفيض النيل

تئن البيوت القديمة

ويغمو العطش

مرة أخرى

ستأتي الريح

ستأتي المصارف والبيارق والضرائب والسلاح

سيأتي الحريق

مرة أخرى نودع بعضنا في بعضنا

حتى حصاد جديد

بريد آخر

في السَماء كما في جيبك الخلفيّ

رسائل لم تُفَضْ

انبياء ضلّوا خِيام العشيرة

تذاكر قديمة

وبيت قصيدةٍ مأخوذةٍ من وجه امرأةٍ تبيعُ الزنجبيل

ورصاصةٍ مدسوسةٍ في سلة الخبز

وجيب الجنرال وربما ــ

قلم السائس

في جيبك الخلفيّ

تستريح البلاد التي هَشَّمتكَ

تستبيحُ الدماء

الهواء

النساء

اللواتي حِلمْنَ ببعض رحيق الورود المُرَاقْ

في جيبك الخلفيّ

تلتهم المصائب ما ادخرتهُ من صُراخ للأيام القادمة

تمتهِنُ المدينةُ دَعارةِ الأسواق

يَحبلُ من يشاء

وترتهن البلاد في لا وعيها حلم طفلٌ يَخصُّكْ

مُدن تخصُّكْ

وغابات ومياه

وطرق رديئة تخصُّنا ــ

في جيبك الخلفيّ

تذكرة الحافلة

إقرار

وثيقةِ احتجاجٍ صارمة

رسائل الحرب التي لم تُبرِح أشلاء المنضدة

وشهادة وفاة بتاريخ مضى إلى حتفهِ

في جيبك الخلفيّ اشياءٌ واشياء

رحم المشيئة وفلسفةُ الخروج

[1]

حين يولد المرء

ترمي النساء حجراً جديداً

في أكبر الشوارع

يشيّد السلطان سجناً

ويشرّع الموت لغةً للصلاة _ للمواساةِ والولاء

[2]

حين يولد المرء

تصدر الطبيعة صرخة الاحتياج النهِمة

ينتج المصنع الحربي رصاصةً اضافية

وتومض السماء

حين يقترح الآباء أسماء أكثر خشونة

وأكثر انتماءً للمنفى

[3]

حين يولد المرء

في اختبارٍ سيء للأداء

تُجهّز الأرواح القديمة في الأعال محرقةً جميلة

ويرقص الناجون في الأرض الخليعة

رقصةَ الوداع الأخيرة

رقصةَ الحمل الوديع

رقصة "الكناري" على الروابي

[4]

حين يولد المرء

يُعلن المدافعون عن "الأبرتايد"

سن قانون القلم

يُعلن السلطان فرمانه؛ عنوان كبير: ضرائب المقبرة

وفي الفراغ

تثقب الآلهة منفذاً محتملاً للصعود

يهيّئ المُشاهد ــ الموعود بالنجاةِ ــ حنجرته المسنّنة للهتاف

[5]

حين يولد المرء؛

يعني أن يُهدى إليهن

المُومسات، الحكّامات نبيّات الحرب

القاتلات الصامتات والفاسقات الجميلات

هو إذن

ذلك اللون المتشعب من الدم

اللون "الأرقط" الغابي العدائي

اللون الذي نسميه نحن السائرين إلى حتفنا

لون الضبع

لون الموت البرّي

[6]

حين تولد يا عزيزي

تمسّكْ بيد القابلة أو تأخر

فالخارج واحد

الخارج ضدك

الخارج أنت الملفوف بقماشٍ ابيض

تفقّد معطفك على أية حال

إنها تُمطر الآن؛

من كل جهةٍ

من فوقنا يهطلُ الماء

من تحتنا تنبت المدافع كما حقول الذرة

إنها تُمطر الآن؛

نكايةً بالقحط والألم الكثيف

وافتراضات الطغاة

إنها تُمطر الآن؛

إنه دمنا المسفوح ــ

الذي يتبدَّد

تصعد الأرواح وتقفز في يد الله

وتزدهر جيوب القتلة واللصوص وصُنَّاع النار

الرحمة آتية

الله يدرك سمائهِ يا "عاطف"

والبُكم يكتنزُ الجرس

ليس ثمّة فرق

ليس ثَمَّة فرق

بين مشهد القيامة في قصيدة آرثر دادوما

ومَيْدَان حيِّنا الخلفي

أو البلاد في جغرافيتها القديمة

الكثير من الفجيعة _

الكثير من النساء الجميلات اللائي تركن الزفاف وحياكة طواقي السعف

تركن ليالي الغناء الطويل

من أجل ايقاف النزيف وحمام الدم العام بأياديهن العارية

والكثير من سرادق العزاء

ليس ثَمَّة فرق

بين كؤوس الفخار في مجالس النخيل النبيل المُحَال

إلى مكاتب الرذيلة

وجماجم الطلاب

ثلاثيّة _ التجنيد

البحر

الهاوية

رباعيّة_ الموت

الرصاص

الغرق

الفاجعة

ليس ثَمَّة فرق

بين امرأةٍ تستعيدُ ثوبها المُزرَّكش

من سطوةِ الرياحْ

وتعيدهُ لإبْطُهَا ذليلًا

كأنَّما توارِبٌ الحقول من مظالم الشتاء

وبين أنَّ ترى على امتداد انتشارك

انحسار قُوتَكَ المخيف في طلائعِ الجراد

ليس ثَمَّة فرق

أبدًا

بيَّنَكِ والينابيع القديمة في نُهُرٌ "نارمادا"

الطقوس ــ

وذاكرة التدفق

بين النزوح المستطير

وفيالق الجنود

ها هي المدن ــ

يتمخَّضُها القتلةُ من فم البندقية

تتخيَّلها طفلةٍ

تهوى على رأس قِطِّها الصغير

وتنشد في لا وعي المصيبةِ قصائدها المبتورة

سنُبعث

ستُبعث من رماد وماء

من طميّ تدَّخرهُ الآلهة لأنبياء محتملين

لَمَلَكْ احتياطي

وأمم آتية

السماسرة انبياء السوق

السَمَاسْرة

يلعقون يدٍ امتدَّت بخُبث

يذبحون الليل الذي يفيض من نهاراتنا

ويبدأون المزاد

الجرس

قُرَّاعةُ الأنبياء

ورسل الكارثة

يساومون القرنفل بعض النبيذ وكل العرق

هم بايعوا ويبايعون

هم هشَّموا عظم الكمان وصادروا صوت المغني والنشيد

هم أحرقوا

في ظنِّ امرأة تمرُّ الآن من تحت الجبل

كل احتمالات الطريق

وذاكرة المكان الحر واسئلة الوصول

قال لي

_ خذ

ضمِّد جراح الحائط المنسيّ

والدرن القديم

فالليل في هذه المدينة كافرًا

والشمس قنديلٌ تمخَّض في العراء

السَمَاسْرة

كائنات فارغة من الداخل

يتحركون خارج إرادة الآلهة

ويبيعون الخراب

الميادين التي شيعتنا لحتف جديد

دَبَّ السُوس

في "مِرِك" المدينةِ وشرايين المارَّة

والشجر الكثيف

في متون العجوة التي لا تصلح لصُنعِ الآلهة

أو ترويضهٌ لأن يصيرُ ما يصير في غياهب القدور

دَبَّ السُوس

في جسد تآكل كما لو أنه أحجيةٍ قديمة

تأتي من محرقة سرّيةٍ للجدات

من عُشٍّ منسيّ تنهبه الريح

ومعاول

وحقول

وأيادٍ خِشنة

دَبَّ السُوس

"وباب الحوش" يرفل في جحيم البيت

يُلهِمه الصرير

والعابرون إلى صلاة الفجر

والآتون من ليل قديم

والذاهبون إلى الأسِرَّة منهكين من التسلق والعواء

دَبَّ السُوس

والتلوث العظيم في دمنا المُخثَّر والنزيف

المصاب بلعنةِ الجنود

ومشيئةِ البنادق التي تضجُ كلما

وكيفما وأينما ...

وحينما تطلُّ من نوافذ الصباح زهرةٍ تعانق السماء

دَبَّ السُوس

يا أبتي

في الميادين التي شيعتنا لحَتْف جديد

كأن الطريق هو الطريق

وأن الرحيل هو المجيء

البلاد

البلاد هي البلاد

بفسوقها ولصوصها والتائبين

بتعثُّر الآتون من وجع النساء

من الولادة والنحيب

أو العدم

وبإطلالة الأشجار حين يُراقص "الخرطوش" طفلاً هادئاً

تتفتّق الأزهار في وجه المياه

البلاد هي البلاد

تمتدُّ من جُرحٍ إلى جرح

أو إلى ثقب نايّ يتّسع للصراخ دفعةٍ واحدة

ويضيق بالصوت المخاتل والفراغ

البلاد هي البلاد

ورهانٌ الليل الجاثم فوق تلال المدن الغبراء

أن الضوء قد يعبر زهيدًا

وأن النيل قد يبكي سؤال العابرين إلى الضفاف

ما أقسى الضفاف

البلاد

في سِرِّ أمي

بيتًا قديم مأهول برائحة سكانّه والراحلين

لزوجة الطين أسفل "قُطّيةِ المَرحِيبْ"

وساوس العشب وطعم البافرا

وسباق الخيل

البلاد

يا الله ــ

في ظنون الصغار

قطعةٍ من الحلوى وأرجوحة الزمن الصبيّ

تأريخ الظلام

ليلٌ طويل

يؤرِّخ للظلام الذي ما عاد يسترُ الجبال في المثل القديم

ويؤلِّهُ الحمقى ــ

مهرجان الطغاة والشبح العتيّ

ويصادر من رؤى الأطفال أنشطة المساء

والضوء الشحيح

ليلٌ طويل

يطوّق في دمي نهارًا فائضًا عن حاجة التدوير

وانتاج الخصوبة

في شرايين الصباح

ينسلُ ك الرمح المؤبد

ك النشيد

ك القصيدة من فمي

ك الرصاصةِ والرميّ المباح واشلاء المدينة

ليلٌ طويل

يمو على تلك المسافة

بين ظِلَّك وظنَّك في استباقه

حيث تبتدرُ الوقوف

وتبيع —

للأنحاء فرصتك الأخيرة في السقوط

ليلٌ طويل

وفي الليل فجرٌ جديد

تأريخ الظلام

_ 2 _

أعرف أن طائرًا مَرَّ مِنْ هنا

رأى الغابة _

تحترق

والدخان يعبر كثيفًا سماوات الله

هو العُشُّ إذًا

أو كما تقول جدتي:

الخيزران ــ

مخزون الغابة

وحِيّلتها في الانتحار

أعرف امرأةً " تَصُرُّ " الريحُ في ثوبها

وتختزن السراب

تظنَّه طفلها

تَلِفُّهُ حول خصرها حين تهجد

خوف أن يتبدَّد

أعرف أن ليلُ المدينة يستمر طويلًا

تؤرّقه ندبات الضوء

تحرّضه صلوات الأمهات

بكائهن

وخياراتهن في تطويع الظلمة كي يبدو أقل حِدَّة

أعرف أن في حيّنا متجرًا للآلهة القديمة

للرصاص المستورد

وسجائر "الباليرن"

في حيّنا ــ

أتذكر كيف اشترى صديقي ربًّا من خشب الصنوبر

وعلبةِ سجائر وثلاثون رصاصةٍ نحاسية

للطريق رأيه فيما يخص المارَّة

للبلاد تحفظاتها وجروحها ولصوصها

ولنا نحن ــ

لغاتنا في السباب والابتهالات

نجيب الفلوت

[1]

أحيانًا؛

تأخذ الأمكنة مواقفها

كأن يتحرَّر البيت من لحظةِ ميلادك

أو المدينة من طقس الحضور الأنثويّ والمقاهي الصاخبة

والطريق من نقعِ الأرجل التي تؤزِّق الرصيف

[2]

أحيانًا؛

تبتلعُ الجبال ــ

صوتك المشوَّه

وتصادر الصدى الذي يخصُّك

بذات شراهةِ رفضها لأمانة السماء واقتراحات الملكوت

وبذات وعيها في احتواء الكارثة

[3]

يُقال في فقه الحرب

لا تصفِّق أبدًا للسيف

أو السيَّاف

لأنك ــ يومًا ما ــ ستكون الغِمد

وآخرون قالوا هاذئين: بل "الجفير"

[4]

الليل؛

يبدو كما لو أنه حيلةِ امرأة تأملُ في الرقص

ورغبة الكون في تحييد الضوء

الضوء الفائض

الضوء الكامن في المسرح

والمنزوع من نحيب الفلوت

مَنْ يا تُرى؟!

مَنْ يُعيد لليلٌ الأناشيد القديمة

الخيبات الهائلة

المقاهي

الحكايات

والدِّمى القطنية في مخيِّلة اللقيط

مَنْ يُعيد للطقس سلطتهُ في التأويل

لكي تتوقف الرياح عن طرق بيوت الصفيح

وتنحاز للحقول

لكي تمرُّ الرطوبة مِنْ عظام الذين اطمئنوا

لرغبةِ النساءُ في المجيء

مَنْ يُعيد لرحم الدولة _ الغابة

بيادقها

بنادقها

الأنبياءُ وابناء الحرام

مَنْ يُعيد للأسواق لغتها الفاضحة

سُرَّاقها اليافعين

مَلمَّاتها

اجنداتها

حركتها الدؤوبة والفوضى

حيث تحيض الشمس من فوقنا

يضجُ المكان

ومن حيث لا ندري تمتلأ الأرض بالمُخبرين

مَنْ يُعيد للصباح

بائعات الشاي

اصوات البنات الصغيرات الجميلات

أو حين تتسرَّب "البِرِنْسيسةُ" من جوف المذياع

مَنْ يُعيد للصباح

رائحة القهوة والنعناع

وحديث الناس الواضح

حول وقوف السلطة ضدَّ حياة

وموت

وقوت الناس

وضدَّ نضال الرجل العازب

سيرة أخرى لأنبياء الغفلة

[1]

نايّ؛

في كل مرةٍ تهبطُ مُصيبة

نجتمعُ هنا _

عند التل

نعزّي بعضنا في بعضنا ونفوّض للبكاءٌ نايّ القرية

ونذر الصلابة

كأن لم تكُن في المُقل دمعًا يُؤرَخ

[2]

الموت أكثر مما يُروَّج له

والمسافة بين الرصاصة واحتمالٌ أن تبتلعُ آخر جُرعةٍ من كوثرِكْ

قريبةً جدًا

مقدار شهقةٍ

مقدار وعيك بأنَّ المثول أمام قاضي البلاط

وهمهمات الحاجب في أذنهٌ عن خصوصية المحكمة

وسِيَّر الولاء

صرخوا:

لنا صوتنا وحَدِّ الحناجر ولكم برودة المِقصلة

[3]

الأرض تعرف؛

حقيقة صراخ الولادة مِنْ طعم المشيمة

تعرف أنَّ الحصار الذي يتخلَّق حول المدينة

محض انتصار مُزيَّف لكلب الحراسة

وتعرف ــ

أنَّ الدم المُراق

لغة الشعوب القديمة في التعبير عن حقهم في

الخوف

والظلم

والنهوض

أو رغبةِ الجنرال المُبجَّل في تقويض المكان

[4]

كلما أيَّنَعتْ وردةٍ في السماءْ

بايعوا مالك الحانوت وقبَّلوا يده المُتَرَفة

ولوَّحوا بالمنَاجِل

كلما حلَّق طائرًا عن فناه

بلَّغوا عنه

قبضوا عليه وحاكموهُ بقانون الطوارئ

بتهمةِ التحليق والغناء دون تصريح من مكتب الأمن

[5]

جلسوا؛

وريثما تنضجُ الخرافات في سردية النار والليل والمجوس

اقترحوا النميمة

والصعود على اشلاءٌ الذين تنبَّهوا للكارثة

تراجيديا المساء

يقول رجلٌ ما حزم حقائبه ومضى

المساءٌ هنا مساء فقط

لا يُحدِث أيّ جلبة

لا يملك شيئاً استثنائي

المساء هنا مألوف إلى حدٍّ بعيد

لا يدفعنا لتهيئة ذواتنا أو يكلفنا عناء التوغل في تفاصيله

نلتقيه هكذا؛

بجباهٍ متعرّقة ونصف وجه

نصف احتمال

نصف ظنَّ

ونصف روح

نرغب في أن يتجاوزه الصبح سريعاً

على الأقل؛

ليدفع عنّا رهق المحاولات الحثيثة للنوم والتأمل

"إن أبشعُ ما في المساء أنه يعزّز اعتقادنا بالنمو"

النمو الذي ضدنا وليس ضدنا في آن

معنا ومع أعدائنا

المساء وقت فائض في بلادي

لا يستثمره أحد

بل إنه يشكل هاجس للذين يراقبوا خفوت الشفق

وصعود السوس